

## ماذا ت يريد السعودية من مؤسسة الأزهر؟



عماد عنان

بالرغم من التأثير الطويل من التقارب بين المملكة العربية السعودية ومؤسسة الأزهر الشريف وهو ما تجسد في العديد من الزيارات المتبادلة من الجانبين، إلا أنه وفي العامين الأخيرين فقط أولت الرياض اهتماما غير مسبوق بالأزهر، كشفت عنه حزمة المشروعات المقدمة لإعادة هيكلة وبناء المؤسسة وترميم مشيختها التراثية، فضلا عن تمويل قناته الرسمية، وإقامة مدينة البعثة الإسلامية نسعى في هذه الإطلالة إلى الوقوف على أبعاد هذا الدعم غير المسبوق للممثل الشرعي لأكبر كتلة سنوية في العالم، وما هي الأهداف الحقيقية وراءه لاسيما بعد الانفتاح التدريجي الأخير على طهران؟ وما هي آليات الرياض لتفعيل إستراتيجية تطويق المد الشيعي داخل الأزهر؟ وأخيرا : موقف الدولة المصرية مما يحدث؟

### السعودية والأزهر.. تاريخ من التقارب

طلت الأزهر الشريف قبلة الملوك العالم وزعماءه على مر الأزمان والعصور، لما يتمتع به من مكانة خاصة في قلوب المسلمين، إذ يعد الممثل الشرعي لأكبر كتلة سنوية في العالم، حيث استقبل الجامع الأزهر العشرات من زعماء العالم العربي والإسلامي في العقود الأخيرة، على رأسهم، العقيد عمر القذافي ،رئيس ليبية الراحل ، وياسر عرفات، وهواري بومدين، رئيس الجزائر الراحل، ورجب طيب أردوغان ،رئيس تركيا، وبينظير بوتو، رئيسة وزراء باكستان الأسبق، والرئيس فؤاد معصوم،رئيس العراق، والرئيس محمود عباس

أبومازن، رئيس السلطة الفلسطينية، ومحمد بن زايد آل نهيان، ولـى عهد دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتحتل مؤسسة الأزهر وشيوخه مكانة خاصة في قلوب الأسرة المالكة في المملكة العربية السعودية منذ تولي آل سعود مقاليد الحكم في البلاد، حيث حرص الأمير سعود - رحمه الله - في زيارته للقاهرة عام ١٩٢٦ على زيارة الجامع الأزهر، كما التقى ببعض علماء الأزهر الشريف ودعاته، وفي ١٩٤٦ أدى الملك عبد العزيز آل سعود خلال زيارته لمصر صلاة الجمعة الحادى عشر من يناير في الجامع الأزهر برفقة الملك فاروق.

احترام بلاد الحرمين للأزهر الشريف لم يتوقف على مجرد الزيارات فحسب، بل كانت مؤسسته العريقة ورجاله الثقات مرجعاً للسلطة الحاكمة في السعودية في الكثير من القضايا الشائكة، ومنها ما حدث في حرب الخليج الثانية، حين طلب الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود من شيخ الأزهر، فتوى تأذن بتمرير قوات أجنبية داخل المملكة على الرغم من تواجد اثنين من أقدس الأماكن الإسلامية داخل المملكة العربية السعودية، في عام ٢٠٠٣، وهو ما لم يطلب منه مفتى المملكة نفسه.

ومنذ ١٩٤٦ وحتى هذا العام لم يذكر أن قام ملك سعودي بزيارة الجامع الأزهر، حتى زيارة سلمان بن عبد العزيز آل سعود الأخيرة في أبريل من هذا العام ٢٠١٦، والتي حمل خلالها حزمة من المشروعات التنموية غير المسبوقة للأزهر.

الدعم السعودي للأزهر.. علامات استفهام !!

المتابع لمسيرة تطور العلاقات بين السعودية والأزهر يجد أن العامين الماضيين فقط أولت فيما الرياض اهتماماً غير مسبوق بالأزهر ومؤسساته العريقة، تجسد في حزمة من المشروعات والمنح المقدمة من العاهل السعودي والتي جاء بها خلال زيارته الأخيرة.

نستعرض هنا بعض هذه المشروعات والتي تتراوثر في مجملها ملايين الدولارات ما بين ترميم لمباني المؤسسة، وإعادة هيكلة لمنظومة المشيخة، فضلاً عن الدعم الإعلامي والثقافي المقدم في صورة مؤسسات إعلامية وكيانات ثقافية تتدخل المملكة في تشكيلها بما يضع العديد من علامات الاستفهام، حول مدى إحكام سيطرة الرياض على الأزهر ومؤسساته الفرعية، والأهداف من وراء ذلك.

إعادة تأهيل مشيخة الأزهر الأثرية.. أولى المشروعات المقدمة من المملكة العربية السعودية والتي أفصحت عنها سفير خادم الحرمين بالقاهرة أحمد القطان هي إعادة بناء وتأهيل مؤسسة الأزهر، حيث تم إعداد ميزانية مبدئية لبناء بعض أجزاء المسجد، وترميم البعض الآخر فضلاً عن التوسيع في بعض الجهات، إضافة إلى إعادة بناء مشيخة الأزهر الأثرية مع الحفاظ على سماتها التراثي المعروفة.

تمويل قناة "الأزهر" .. من المشروعات العملاقة التي تكفلت بها بلاد الحرمين دعماً لمشيخة الأزهر ، تمويل قناة "الأزهر" المتحدث والناطق الرسمي باسم المؤسسة، والتي تم إنشاؤها مؤخراً كـ" بث تجريبي "

دون تطويرها نظراً لغياب التمويل اللازم لذلك.

وقد تعهد السفير السعودي في القاهرة بتمويل القناة بالكامل، والاستعانة بكتاب الإعلاميين والصحفيين لتقديم أفضل البرامج المتنوعة، فضلاً عن إنشاء مجمع استوديوهات للقناة ، يضمن لها التميز والبث المباشر دون أي عراقيل تعيق ذلك، مع إيداع مبلغ مالي كبير في حساب القناة يحقق لها الأمان وضمان استمراريتها دون توقف لسنوات قادمة.

لبناء مدينة البعثة الإسلامية الجديدة.. كما وضع العاهل السعودي خلال زيارته الأخيرة للقاهرة حجر الأساس  
لبناء مدينة البعثة الإسلامية الجديدة، وتحمل جميع تكاليفها بداعيا من الأرض المخصصة لذلك مرورا  
بالبنية التحتية والرعاية الطلاب الوافدين، حيث تبلغ مساحة المدينة الجديدة ما يقرب من ( 18 ) فدان، تسع  
لإيواء آلاف الطلاب الوافدين من إفريقيا وأسيا وأوروبا.

الحرمين، فضلاً عن الرحلات الترفيهية والمبالغ المالية المقدمة لهم أياً كان المسمى، لاسيما القيادات التنفيذية، وهو ما تجسّد في رحلات الحج والعمرة والإقامة المميزة لهم في بلاد الأزهار، كسب دعم رجال الأزهر.. وقد نجحت الرياض في ذلك من خلال المنح والهدايا المقدمة لبعض رجالات الأزهر

أداة لمواجهة التشيع

قوبلت هذه المشروعات المقدمة من السعودية لدعم الأزهر ومؤسساته بالعديد من التساؤلات حول الهدف من وراءها في هذا التوقيت بالذات، وهل هناك نية مبيته من قبل الرياض في فرض سيطرتها على مؤسسة الأزهر أم أن ما يحدث لا يخرج عن دائرة حزمة المساعدات التي تقدمها السعودية لمصر منذ أحداث 30 يونيو والإطاحة بالرئيس المعزول محمد مرسي؟

لاشك أن الأزهر الشريف على مر التاريخ يعد الممثل الشرعي والمتحدث الرسمي لكتلة السنة في العالم، وبالرغم من مكانة المملكة والأماكن المقدسة بها، إلا أن للأزهر مكانة عالمية مختلفة، فهو عنوان الوسطية والتنوير، ومن تحت أعمدته وجدرانه خرجت مشاعل الهدایة لتنير للعالم طريق الرشاد، وبالرغم مما اعتلى الأزهر على مر تاريخه من تشويه لدوره من خلال رضوخه للسلطان والأنظمة الحاكمة، إلا أن تاريخه العظيم يؤكد دوره المحوري في الدفاع عن مقدسات الأمة، إذ كان في كثير من المحطات التاريخية الهامة قبلة المسلمين ونقطة الانطلاق نحو النصر في عدد من المعارك.

وانطلاقاً من مبدأ البراجماتيكية التي بات منهج حياة لدى سلطة آل سعود خلال الآونة الأخيرة، فإن الدعم السعودي للأزهر ليس هبة أو منحة لا ترد، إذ أن هناك هدف واضح وصريح يقود الرياض إلى ما تقوم به من مساعدات لدعم الأزهر وفرض سيطرتها عليه....لتبقى كلمة السر في "مقاومة الشيعة"، ومحاولة إحداث القطيعة التامة بين الأزهر وكل ماله علاقة بالشيعة والتشيع.

المعروف أن بلاد الحرمين تبذل قصارى جهدها من أجل مناهضة التشيع في كل مكان بالعالم، وتسخّر لذلك كل ما أوتيت من مال وعتاد، والمتابع لتحركات المملكة في الداخل والخارج يلحظ هذا المنهج بصورة

واضحة، لاسيما في دول إفريقيا التي هرولت إليها الرياض لتفويض المد الشيعي هناك، وسحب البساط من تحت أقدام طهران من خلال حزمة جديدة من المساعدات للدول الإفريقية الفقيرة، وما حدث في السودان وجيبوتي والصومال وإثيوبيا ليس بعيد، حيث نجحت السعودية في دفع هذه الدول إلى قطع علاقتها الدبلوماسية مع طهران بعد فترات طويلة من قوة العلاقات بينهما.

هناك إيمان راسخ لدى الإدارة السعودية بقيمة وقامة الأزهر الشريف، حتى وإن لم تعلن ذلك بصورة مباشرة، إلا أنها في قرارها نفسها على يقين تام بأن من يمتلك دعم هذه المؤسسة يستطيع أن يقدم نفسه للعالم الإسلامي بصورة مختلفة، لاسيما وهي تكسب ثقة واحترام الجميع - مسلمين وغير مسلمين - حتى وإن شوه دورها في فترات طويلة من تاريخها بفعل السلاطين وحكام الدولة.

وقد جاء الانفتاح التدريجي للأزهر في الفترة الأخيرة على إيران والذي تجسد في زيارة الرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد للأزهر ولقاءه بشيخه أحمد الطيب، فضلا عن زيارة بعض رجال الأزهر لطهران، إضافة إلى تزايد الطلب الشيعي في الأزهر، ليدفع المملكة العربية السعودية إلى ضرورة التدخل الفوري لتطويق هذا المد الشيعي، وتحجيم دوره داخل اعرق مؤسسة إسلامية سنية في العالم، ومن ثم كانت هذه المشروعات.

### الإعلام كلمة السر

أيقن الجميع وفي ظل ثورة الاتصالات الهائلة التي نعيشها أن الإعلام بات اللاعب رقم (1) في أي معاكلة سياسية كانت أو اقتصادية أو حتى فكرية، لذلك فقد اتخذت السفارة السعودية بالقاهرة عددا من الإجراءات التي من شأنها كسب تأييد الإعلام للتوجهات السعودية بمصر وخارج مصر، وهو ما كشفته بعض التقارير المصرية بشأن الإغراءات المقدمة من السفارة لبعض الإعلاميين سواء كانت مادية أو معنوية، حتى وإنه لوقت قصير كانت تخصص مكافآت شهرية لعدد من الصحفيين، فضلا عن دعوات الحج والعمرة مجانا كل عام لكثير منهم.

ولعل هذا يسفر لنا حجم الإنفاق الهائل الذي تعهدت به السعودية لتطوير قناة "الأزهر" والاستعانة بكتاب الإعلاميين لتقديم عدد من البرامج، بما يضع العديد من علامات الاستفهام حول إنشاء هذه القناة ومن قبلها ترميم المشيخة وبنائها الأثرية فضلا عن بناء مدينة البعث الجديدة.

ويبقى السؤال: هل تنجح السعودية من خلال دعمها المقدم للأزهر في السيطرة عليه شكلا ومضمونا بما يحقق لها هدفها بتطويق المد الشيعي داخل المؤسسة؟ وهل من الممكن أن تعيد الرياض رسم خريطة علاقات الأزهر بالدول المجاورة وفي مقدمتها إيران؟ .. ثم السؤال الأهم .. هل ترك الدولة المصرية الساحة لل سعودية لتنفيذ أهدافها دون تدخل أو رقابة؟